# عنوان المحاضرة الثانية: الحداثة العربية

## الأستاذة: خالص زهرة

### 1-ضبط مصطلح الحداثة العربية:

الحداثة العربية، أحد أبرز المواضيع التي مازالت إلى اليوم تطرح النقاش إن لم نقل الجدل.

-هل توجد حقا حداثة عربية أم أنه في الحقيقة لا وجود لها؟

-وإن كانت موجودة حقا، أهي أصيلة أم أنها مجرد دين ندفع ثمنه اليوم بالتبعية؟

في الحقيقة لا يمكن ضبط مصطلح الحداثة إلا إذا قمنا بتحديد مقارنة بألفاظ أخرى كثيرا ما يقع الخلط بينها وبينه ألا وهي الجدة والمعاصرة. فالمعاصر يرتبط بالعصر فيكون بذلك ذا دلالة زمنية، أما الجدة فلا ترتبط بالزمن إذ قد يكون الجديد في القديم كما يكون في الحديث، أما الحداثة فتعني إيجاد ما لم يكن موجودا من قبل.

يشغل مصطلح الحداثة حيز التعدد، والاختلاف، والغموض والخلط عند العرب وما جاء على لسانهم، فنجده يحمل معاني عديدة يحددها المجال الذي نود معرفة معنى الحداثة فيه. فكلمة الحداثة تجري مجرى الدال المتعدد الوجهات طبق تعدد صوره اللغوية القائمة في أذهان المستعملين وإن كنا نعجز عن تحديد المجالات التي غزتها الحداثة لكثرتها فعلى الأقل يمكن أن نعطي أمثلة توضح بأن الحداثة تلبس معنى جديدا كلما تغير المجال. فعلميا تعني الحداثة إعادة النظر المستمر في معرفة الطبيعة للسيطرة عليها، وتعميق هذه المعرفة وتحسينها ثوريا. تعني الحداثة نشوء حركات، ونظريات، وأفكار جديدة، ومؤسسات، وأنظمة جديدة تؤدي إلى زوال البنى التقليدية في المجتمع وقيام بنى جديدة. ففنيا تعني الحداثة تساؤلا جذريا يستكشف اللغة الشعرية ويستقصيها، وافتتاح آفاق تجريبية جديدة في الممارسة الكتابية وابتكار طرق للتعبير تكون في مستوى هذا التساؤل، وشرط هذا كله صدوره عن نظرة شخصية فريدة للإنسان والكون.

وإن اختلف مفهوم الحداثة من مجال إلى آخر يبقى في الأخير يجتمع في نقطة ربما تكون هي الأساس أو البؤرة التي تقوم عليها الحداثة ألا وهي مفهوم التجاوز، ورفض التقليد وكل ما هو قديم لأن الحداثة سمة للأقوال والأشياء غير المعروفة من قبل وبهذا المعنى لكل عصر حداثته.

وفي النقد كان ارتباطها باللغة يوحي لنا بأن الحداثة هي حركة تغيير، تصيب اللغة فتقضي بعدولها على المعيار المألوف وكسرها للنظم الرتيبة التي تحكمها وكأنها تصنع لنا لغة تتعمد الخطأ بغية الوصول إلى التفرد والتميز.

وكأن هذه المفاهيم توحي بتشابه كبير بين الحداثة الغربية والحداثة العربية اليوم، فهل هذا يعني أن للحداثتين نفس المنابع؟ لنعرف ذلك لابد من البحث في جذور الحداثة العربية.

## 2-جذور الحداثة العربية:

يبدو أن البحث في جذور الحداثة العربية أوغل من البحث عنه عند الغرب، فيرى النقاد أن جذور الحداثة العربية تعود إلى القرن السابع الهجري، لأنه آنذاك بدأت بوادر اتجاه شعري جديد تمثل في بشار بن برد، وأبي نواس، ومسلم بن الوليد، وأبي تمام، وابن المعتز، وآخرون. وامتدت بعدها إلى طه حسين، وجماعة الديوان، وأبولو، والمهجر.

فكان أبو نواس أول من هدم نظام القصيدة القديمة، أطاح بالمقدمة الطللية واضعا بدلها المقدمة الخمرية، وكذلك فعل أبو تمام برفضه للقديم وسعيه وراء التجديد وعلى الرغم من أن أعماله لقيت أكثر رواجا فقد كانت أكثرها رفضا من طرف أنصار القديم. فكان شعر أبي تمام على الأخص الثورة الأكثر جذرية على صعيد اللغة الشعرية بالمعنى الجمالي الخالص، فسعى من خلال أعماله إلى إرساء مبادئ الإبداع والفرادة متجاوزا بذلك ما استحدثه أبو نواس من خلال مقدمته الخمرية.

اتخذت الحداثة عند أبي تمام بعدا آخر هو ما يمكن أن نسميه بعد "الخلق"، فهو لم يهدف إلى المطابقة بين الحياة والشعر، بل هدف إلى خلق عالم آخر يتجاوز العالم الواقعي. لقد اشتركا في رفض تقليد القديم لكن كلا منهما سلك في إبداعه مسلكا خاصا.

هذا في مجال الشعر أما في مجال النقد، فالحداثة العربية أقرب إلينا منها في الشعر إذ يؤكد الدارسون أنها بدأت مع طه حسين كفكرة، رأى من خلالها أنه إذا أرادنا أن نتفوق أو نخلق ركب الحضارة، علينا أولا أن نمد بأبصارنا خلف البحار، أي إلى بلاد الغرب وأن نرى ما وصله هؤلاء من تطور وتقدم وعلينا أن نقلدهم ونرسم على منوالهم.

ربما كان الدافع الأول في محاولة التغيير سواء تعلق الأمر بالشعر أو النقد، يعود إلى مقتضيات العصر وتغير الحياة وبالتالي تغير الكيفية التي نرى بها الأشياء. فهناك الكثيرون الذين حاولوا التجديد، ومسايرة العصر، ومجاراة للحياة الجديدة لأنهم وجدوا المجال ضيقا عليهم والأبواب موصدة في وجوههم نحو الابتكار وجدوا القدماء قد عبدوا الطريق وأوضحوا المعالم، فقامت بذلك الحداثة العربية تخطو خطوة إلى الأمام والأخرى إلى الوراء بين مؤيد للتجديد ومعارض لهذه الفكرة.

وبناء على ما تقدم هل هناك وجه شبه بين الحداثة كمفهوم معاصر عند الغرب وبينها عند العرب؟

يرى محمود العالم في كتابه "الجذور المعرفية والفلسفية للنقد الأدبي العربي الحديث والمعاصر"، ص:100" أن مختلف الاتجاهات في نقدنا الحديث والمعاصر عامة هي أصداء لتيارات نقدية أوروبية وبالتالي فهي أصداء كذلك لما وراء هذه التيارات من مفاهيم إبستيمولوجية وإيديولوجية". ويرى أدونيس في كتابه "الشعرية العربية"، ص84 "أن الحداثة في المجتمع العربي لا تزال شيئا مجلوبا من الخارج إنها حداثة تتبنى الشيء المحدث، ولا تتبنى العقل أو المنهج الذي أحدثه فالحداثة موقف ونظرة قبل أن تكون نتاجا".

إذن يرى كل من محمود أمين العالم كممثل للمتقدمين، وأدونيس كنموذج للمتأخرين أن الحداثة تدخل ضمن الأشياء المجلوبة من الغرب.

فحداثة العرب حداثة ارتبطت بالحياة الراهنة، فكانت استجابة لها، وهو ما قضى بموتها وهي في مهدها، أو بعبارة أخرى فهي لم تنشأ نتيجة فكر معين أو فلسفة بل كانت تجديدا اقتضاه عدم جدوى الوسائل التقليدية، لذلك لا يمكن الحديث عن حداثة عربية. وبالتالي فحداثتنا اليوم غربية تلقيناها من الغرب، وحاولنا أن نؤقلمها مع مناخنا الفكري وهو سبب عدم وضوح المصطلح وغموضه وإن ادعى بعضهم أنه أصبح ملكا لنا، لكنه في الحقيقة لا يمكن أن يفرغ مما يحمله من فكر، وثقافة، وفلسفة كانت سببا في ظهوره. فلا يمكن ربط النقد العربي بالنقد الغربي في إطار التصور القائم على اعتبار النقد علما يجوز تطبيقه على الظواهر الأدبية كافة في مختلف البيئات الحضارية.

## المراجع:


-زراقط عبد المجيد، الحداثة في النقد العربي المعاصر، ط1، دار الحرف العربي، بيروت، لبنان، 1991م.

-عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، ط1، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1983.

-محمد لطفي اليوسفي، البيانات، دار سراس للنشر، تونس، 1993م.

-أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، ط1، دار الآداب، 1993م.

-أدونيس، زمن الشعر، ط2، دار العودة، بيروت، 1978م

-أدونيس، الثابت والمتحول، دار العودة، بيروت.

-عبد العزيز شرف، طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.

-عبد الفتاح لاشين، الخصومات النقدية والبلاغية في صنعة أبي تمام، دار المعرفة، القاهرة، 1982م.

-محمود أمين العالم، الجذور المعرفية والفلسفية للنقد العربي الحديث والمعاصر، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع39.

-عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م.

-أدونيس، الشعرية العربية، ط1، دار الآداب، بيروت، 1985م.

-سمير سعيد حجازي، النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2005م.